انفجار الرابع من أغسطس وتداعياته: المكتبات في بيروت بين الدعم المتلقي والدروس المستفادة

د. روديكا العجيل
جامعة بيروت العربية
rodicaojeil@hotmail.com

المستخلص

كان للانفجار الذي وقع في 4 آب/أغسطس 2020 في بيروت تداعيات كبيرة على النسيج الثقافي والوثائقي للمدينة. ومن بين المؤسسات المتضررة، تكبدت المكتبات خسائر مادية كبيرة، مما عرض مهمتها في الحفاظ على المعرفة وتوفير الوصول إليها للخطر. وقد كشف الحدث عن ثغرات عميقة في آليات حماية التراث الوثائقي من الكوارث.

تقدم هذه الدراسة دراسة مقارنة لمكتبتين رمزيتين في بيروت: المكتبة الشرقية (مؤسسة تراثية خاصة ذات نطاق جامعي) وجمعية السبيل (شبكة من المكتبات العامة في الأحياء). ومن خلال تحليل خسائرهم، واستجاباتهم للطوارئ، وأنظمة الدعم التي تلقوها، تسلط الدراسة الضوء على ديناميكيات المرونة التي تم تنفيذها في سياقين مؤسسيين مختلفين.

وتظهر البيانات التي تم جمعها أنه على الرغم من تعرض المكتبتين لأضرار مماثلة، كسور، ونوافذ مكسورة، وأثاث تالف، وكتب سقطت أو تضررت - إلا أن أساليب تدخلهما كانت تختلف اعتمادًا على الموارد المتاحة، وشبكات التضامن النشطة، والاعتراف المؤسسي بكل منهما. وكان التعاون مع المنظمات غير الحكومية المحلية والمنظمات الدولية في كثير من الأحيان أمرا حاسما في استئناف الأنشطة.

وبعيدًا عن إدارة الأزمات، تسلّط هذه الدراسة الضوء على أهمية دمج الوقاية من المخاطر في سياسات إدارة الوثائق. ويبدو أن تعزيز البنية التحتية وتدريب الموظفين ورقمنة المجموعات وربط المكتبات ببعضها البعض تشكل أولويات استراتيجية. ومن ثم فإن الدروس المستفادة من هذه التجارب يمكن أن تساهم في الاستعداد بشكل أفضل للكوارث المستقبلية المحتملة.

الكلمات المفتاحية :

إدارة المخاطر والكوارث، انفجار 4 أغسطس 2020، مؤسسات المعلومات، المساعدات المؤسسية (المحلية والدولية)

تاريخ استلام البحث: 2025/5/19 تاريخ إجازة البحث: 2025/6/9

تمهيد

في الرابع من أغسطس/آب 2020، لم يتسبب الانفجار المدمر في بيروت في دمار هائل في المدينة فحسب، بل ضرب أيضًا مؤسسات أساسية مثل المكتبات. وقد تعرضت هذه الأخيرة، باعتبارها حارسة للمعرفة والذاكرة الجماعية، لأضرار جسيمة، مما سلط الضوء على هشاشة مساحات الثقافة والمعرفة في مواجهة الكوارث. تسلط هذه الدراسة الضوء على مكتبتين شهيرتين في بيروت، مكتبة السبيل والمكتبة الشرقية، وتستكشف الاستجابات التي تم وضعها لتعافيهما بعد الكارثة.

لقد تأثرت مكتبة السبيل والمكتبة الشرقية بشدة جراء الانفجار، إلا أنهما أظهرتا قدرة ملحوظة على الصمود. لقد واجهت مكتبة السبيل، كمكتبة مجتمعية، والمكتبة الشرقية، بمجموعاتها النادرة والتاريخية، تحديات كبيرة، سواء على المستوى المادي أو من حيث استمرارية خدماتها. وكان على المؤسستين تطوير استراتيجيات لإدارة الأزمات، بما في ذلك ترميم مجموعاتهما المتضررة، وتأمين مساحاتهما، وتنفيذ بروتوكولات جديدة للحفاظ على التراث وإدارة المخاطر.

يركز هذا العمل على كيفية رد فعل هذه المكتبات، ولكن أيضًا على المساعدة التي تلقتها من هياكل الدعم المختلفة، المحلية والدولية. وتحلل الدراسة استراتيجيات التعافي المعتمدة، مع تسليط الضوء على أهمية التعاون مع المنظمات غير الحكومية والمؤسسات الثقافية، فضلاً عن خبراء إدارة الأزمات. كما يدرس التقرير تأثير شبكات التضامن والتمويل التي مكّنت من ترميم البنية التحتية المتضررة جزئيًا أو كليًا.

وأخيرا، تضع هذه الدراسة نفسها ضمن إطار عالمي لإدارة الكوارث في المكتبات، ويستخلص الدروس من كيفية مواجهة المؤسسات الأخرى في جميع أنحاء العالم لأزمات مماثلة. ويقدم هذه الدراسة تأملاً حول أفضل الممارسات في الاستعداد للكوارث والاستجابة لها، وتسلط الضوء على الحاجة إلى تعزيز قدرة المكتبات على الصمود وجعلها مساحات لإعادة الإعمار ودعم المجتمعات المتضررة من الأحداث المؤلمة. كما تقدم رؤية للتحديات والحلول التي تواجهها المكتبات في دورها في حفظ ونقل المعرفة بعد الأزمات الكبرى.

1. أهمية الدراسة

يعتبر الانفجار الذي وقع في 4 أغسطس/آب 2020 في مرفأ بيروت إحدى أخطر الكوارث التي شهدها لبنان في العصر الحديث. وأدى ذلك إلى خسائر بشرية ومادية وثقافية كبيرة، فضلاً عن تدمير هائل في الأحياء المحيطة. ولم تسلم المكتبات، بمجموعاتها التراثية، من هذا الأمر. ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تهدف إلى توثيق الآثار الملموسة للكارثة ومقارنة آثارها على نوعين من المؤسسات الوثائقية: مكتبة عامة ومكتبة خاصة. ويتضمن ذلك فهم مدى الضرر الذي لحق بالمنطقة، والموارد المفقودة أو المتضررة، وطبيعة وسرعة جهود الترميم والتعافي.

ستسلط هذه الدراسة الضوء على الثغرات في إدارة المخاطر والتخطيط للطوارئ في المكتبات التي تمت دراستها. وسوف يقوم أيضًا بتحليل كيفية استغلال هذه المؤسسات لهذه الأزمة لتطوير تدابير ملموسة لتعزيز قدرتها على الصمود في مواجهة الكوارث المستقبلية. ومن خلال المساهمة في الحفاظ على التراث الوثائقي الوطني واستمرارية خدمات المعلومات في أوقات الأزمات، توفر هذه الدراسة رؤية أساسية للعوامل التي سهلت أو أعاقت نجاح عمليات الاسترداد. ويهدف إلى تعزيز جهوزية المكتبات، في مواجهة حالات الطوارئ المحتملة.

2. أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أثر انفجار 4 آب/أغسطس 2020 على نوعين من المكتبات المتواجدة في بيروت: مكتبة عامة ومكتبة خاصة. الهدف هو تقييم الخسائر الوثائقية والبنية التحتية التي تكبدتها هذه المؤسسات، وفهم الاختلافات في قدرتها على الاستجابة للكارثة، وكذلك تحديد ممارسات إدارة الأزمات التي تم وضعها، سواء كانت موجودة قبل الحدث أو تطورت بعده. وتعتمد الدراسة على المسوحات الميدانية والمقابلات وتحليل الوثائق الداخلية بهدف إعداد جرد دقيق ومقارن.

تهدف أيضًا هذه الدراسة، إلى تحديد توصيات ملموسة لتحسين قدرة المكتبات اللبنانية على الصمود في مواجهة المخاطر الكبرى. ومن خلال تسليط الضوء على عوامل الضعف بالإضافة إلى الممارسات الجيدة الملاحظة، ستساهم هذه الدراسة في إعلام السياسات العامة فيما يتعلق بإدارة المخاطر في القطاع الثقافي والوثائقي. وسوف يساهم ذلك أيضًا في

تعزيز الوعي بأهمية الحفاظ على التراث المكتوب، والذي غالبًا ما يتم إهماله في خطط الإغاثة في حالات الأزمات.

3. *مصطلحات الدراسة*

- إنفجار مرفأ بيروت

تنطلق هذه الدراسة من كارثة 4 آب/أغسطس 2020، التي أثرت بشكل عميق على البنية التحتية الثقافية في لبنان، وخاصة المكتبات.

- إدارة الكوارث في المكتبات

ويقوم بتحليل أنظمة الوقاية والاستجابة والتعافي في مواجهة الأزمات، وخاصة في المؤسسات الوثائقية.

- الحفاظ على التراث الوثائقي

الهدف هو تقييم الخسائر، وعمليات الترميم التي تم تنفيذها والدروس المستفادة لتعزيز قدرة المكتبات العامة والخاصة في لبنان على الصمود.ألحق الانفجار أضرارا بالغة بالعديد من المؤسسات الثقافية في بيروت، مما أدى إلى فقدان المجموعات وتعطل الخدمات. وقد كشفت هذه المأساة عن مدى الحاجة الملحة إلى تعزيز إدارة المخاطر في قطاع التراث.

4. *منهج الدراسة*

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الكيفي المبني على المقابلات والزيارات الميدانية بهدف تقييم أثر انفجار 4 آب/أغسطس 2020 على مؤسسات المعلومات المختارة. سيتم إجراء مقابلات مع المسؤولين عن إدارة الكوارث والخبراء داخل هذه المؤسسات لجمع البيانات حول التدابير المتخذة للتعافي، والتحديات التي واجهتها وآفاق التحسين.

وستتيح الزيارات الميدانية إمكانية المراقبة المباشرة للأضرار الناجمة عن الانفجار، وفحص الحالة الراهنة للمباني والمجموعات، وتحليل أعمال الترميم التي تم القيام بها. وستوفر هذه التجربة رؤية أكثر واقعية لجهود إعادة التأهيل والاستراتيجيات المنفذة للحفاظ على التراث واستمرارية الخدمات.

اذا، لتعزيز جودة الدراسة استخدامنا الأدوات التالية :

المقابلات : أساسيّة كانت للحصول على معلومات واضحة ولرسم صورة عن الوضع ما بعد الانفجار. المقابلات تمّت مع المسؤلين في هاتين المكتبتين اللذين زوّدونا بالمعلومات المطلوبة.

دراسة حالة : تمّ اختيار مكتبتين في لبنان واقعتين في محيط مرفأ بيروت وقد طالهما الدمار جرّاء الانفجار. في دراسة الحالة امكّنا من وصف الوضع الّذي كان ومن مقارنة الأساليب التي اتّبعت للإنقاذ وللترميم وهذا ما سمح بتحليل تجربتهما واستخلاص العبر منها .

هذه المنهجية المتكاملة ساهمت بتقديم موضوعنا بطريقة علميّة وواقعية وبالتالي استخلاص دروس مستفادة وتوصيات مقترحة للبقاء على جهوزيّة تامّة تحسّبا لأي طارىء.

5. ***مشكلة الدراسة***

تسبب انفجار الرابع من أغسطس/آب 2020 في بيروت في أضرار جسيمة للبنية التحتية الثقافية، بما في ذلك المكتبات. وكشف هذا الحدث عن مدى ضعف هذه المؤسسات في مواجهة الكوارث، خاصة في ظل غياب خطط إدارة المخاطر وتدابير الحفظ المناسبة. فأصبح من الضروري تحليل التأثير الملموس لهذه الكارثة على مختلف أنواع المكتبات (العامة والخاصة)، لفهم قدرتها على الاستجابة للأزمة، وتحديد الثغرات التي ينبغي سدها لتعزيز قدرتها على الصمود..

من هنا نطرح عدّة أسئلة مهمّة :

- الى أي مدى تدمج المكتبات التي طالها الخراب جرّاء الانفجار، خطط و استراتجيات لإدارة المخاطر في عملياتها اليومية، وكيف تطور هذا التكامل بعد الكارثة؟
- ما هي التحديات الرئيسية التي واجهتها جهود إعادة بناء المكتبات، وما هي الأساليب التي ساعدت في التغلب على العقبات اللوجستية أو المالية أو المؤسسية؟
- كيف يمكن للمكتبات المتضررة من الكوارث التوفيق بين ضرورة استعادة خدمات المعلومات ومتطلبات الحفاظ على التراث الوثائقي التالف؟

تستكشف هذه الدراسة التأثير البعيد المدى للانفجار الذي وقع في 4 أغسطس/آب 2020 على مكتبتين في بيروت، مسلطًا الضوء على كيفية استجابة هذه

المؤسسات لحالة الطوارئ، وإدارة الخسائر، وتكييف أساليب عملها. ويتضمن ذلك تحليل ديناميكيات الاستجابة التي تم تنفيذها على المدى القصير والمتوسط، مع الأخذ في الاعتبار الخصائص المحددة للهياكل العامة والخاصة.

6. ***فرضيات الدراسة***

تنطلق الدراسة من فرضيات مفادها :

- الفرضية الأولى: استجابت المكتبات التي لديها خطة رسمية لإدارة المخاطر للانفجار بشكل أفضل من تلك التي لا تمتلك خطة رسمية لإدارة المخاطر.
- الفرضية الثانية: إن الافتقار إلى تدريب الموظفين في إدارة الأزمات أعاق جهود التعافي والحفاظ بعد الكوارث.
- الفرضية الثالثة: عملية تعافي المكتبات العامة أبطأ من عملية تعافي المكتبات الخاصة بسبب محدودية الوصول إلى التمويل والموارد اللوجستية.

7. ***الدراسات السابقة***

تسلّط الأدبيات العلمية حول إدارة الكوارث في المكتبات الضوء على الأهمية المتزايدة الممنوحة للوقاية والاستعداد والمرونة للمؤسسات الوثائقية في مواجهة الأزمات. وقد قامت العديد من الدراسات بفحص استعداد المكتبات للكوارث، وسياسات النسخ الاحتياطي المعمول بها، والتحديات التي واجهتها أثناء عمليات الاسترداد. يستند هذا الاستعراض إلى هذه الدراسة لفهم الممارسات القائمة، وتحديد الثغرات، ووضع الحالة المحددة للمكتبات اللبنانية المتضررة من انفجار 4 أغسطس/آب 2020 ضمن إطار أوسع من التأمل الدولي.

وستنقسم هذه القراءات تحت ثلاث عناوين : الكوارث وإدارة الكوارث في المكتبات، استراتجيات إدارة الكوارث ومؤسسات المعلومات، التأهب وتقييم إدارة الأزمات :

7.1 الكوارث وإدارة الكوارث في المكتبات

المكتبات، التي غالبا ما ينظر إليها على أنها ملاذات للمعرفة، ليست بمنأى عن الكوارث المفاجئة. وقد أدت الأحداث الطبيعية الكبرى إلى تعطيل وظائفها بشكل منتظم. وفي الولايات المتحدة، تسببت الأعاصير كاترينا وريتا في أضرار جسيمة بالممتلكات وتسببت في انقطاع خدمات المكتبات (Diamond, 2006). وعلى نحو مماثل، كان للزلزال والتسونامي اللذين ضربا اليابان في عام 2011 تأثير خطير على المكتبات والمؤسسات التراثية (Kobayashi, 2013). كما تسبب

الحريق الذي شب في مكتبة جامعة مزوزو في مالاوي عام 2015 في خسائر كبيرة (Chawinga & Majawa, 2018)، كما فعلت عملية تدمير المكتبات أثناء الغزو الأمريكي للعراق، مما أدى إلى فقدان العديد من المواد النادرة والقيمة (Al-Tikriti, 2007).

وفي جنوب شرق آسيا، أثرت الكوارث أيضًا على المكتبات. لقد تضرر أكثر من نصف المكتبات الواقعة في المناطق التي ضربها إعصار هايان في الفلبين (Superio, Alayon, et al., 2019). في إندونيسيا، أدى حريق اندلع في أبريل/نيسان 2020 في مكتبة وأرشيف منطقة بيسيسير سيلاتان إلى إتلاف آلاف الوثائق، ليس فقط بسبب الحريق ولكن أيضًا بسبب المياه المستخدمة للسيطرة عليه (Nisa & Marlini, 2024). وفي ماليزيا، تم تحديد نمو العفن باعتباره تهديدًا خطيرًا لحفظ المجموعات (Wahab et al., 2015).

وفي مواجهة هذه المخاطر، يؤكد الباحثون على ضرورة وضع خطط شاملة للتأهب للكوارث. وفقا لإيلو وآخرون. (2020)، استراتيجية فعالة تهدف إلى حماية المكتبات من التهديدات البيئية أو البيولوجية أو التكنولوجية أو البشرية. ويتطلب ذلك إجراء تقييمات دقيقة للمخاطر وتنفيذ خطط تخفيف محددة جيدًا. ويتذكر (Ayoung et al. (2015) أيضًا أهمية الاستجابات المنسقة التي تساعد في تقليل التأثيرات السلبية.

ومع ذلك، وكما يشير ماثيوز (2017)، فإن الاستعداد لا يعتمد فقط على خطط الطوارئ، بل يعتمد أيضًا على مكونات مثل التخطيط المالي وتحليل المخاطر وتدريب الموظفين. أيونج وآخرون (2015) أضاف أن شبكات التعاون القوية والموارد الكافية وتدابير الأمن المحسنة والتدريبات المنتظمة تساهم أيضًا في تحسين مرونة المكتبة.

والعامل البشري له أهمية بالغة أيضًا. ويؤكد أوساويلي وأكبورهونور (2022) على أهمية تطوير ثقافة الاستعداد للكوارث، من خلال تعزيز الوعي وتدريب الموظفين. وفقا ل Balu وآخرون. (2022)، يسمح هذا النهج للموظفين باكتساب المهارات اللازمة للرد بشكل فعال في المواقف الحرجة.

وقد أكدت بعض الدراسات على أهمية استمرارية الخدمات. يناقش ماكهون-تشاييس (2007) دور شبكات الإقراض بين المكتبات كحل بديل للحفاظ على الوصول إلى الموارد. ويوضح كوبايشي (2013) أيضًا أهمية التعاون بين المؤسسات، مستشهدًا بتدخل أمناء المكتبات في إطار لجنة حماية الممتلكات الثقافية في اليابان، بعد زلزال عام 2011.

أمّا مقالة السالم فتناولت (2019) إدارة الكوارث في المكتبات الجامعية، مستخدمة مكتبة جامعة الملك سعود كمثال. يسلط المؤلف الضوء على الإجراءات التي تم وضعها للوقاية من المخاطر، وتدريب الموظفين، وتنفيذ خطط الطوارئ. ويسلط هذا العمل الضوء أيضًا على الفجوات في الموارد المادية والبشرية التي تحد من فعالية الاستراتيجيات القائمة.

ومن جانبه، يقوم الحسيني (2021) بتحليل الاستعداد للطوارئ في المكتبات الوطنية. وتؤكد الدراسة على أهمية اتباع نهج منهجي ومتكامل يشمل تقييم المخاطر والحفاظ الوقائي، فضلاً عن التنسيق مع السلطات المحلية ومنظمات إدارة الكوارث المتخصصة. وشددت الدراسة على ضرورة وضع سياسات وطنية محددة لحماية المجموعات بشكل أفضل ضد مختلف التهديدات، سواء كانت من أصل طبيعي أو بشري.

علاوة على ذلك، تلعب المكتبات دورًا اجتماعيًا أساسيًا. الثلاثاء وآخرون (2021) وكذلك ويتني وآخرون. (2017) تظهر أنه حتى مع الموارد المحدودة، وخاصة في المناطق الريفية، تساهم المكتبات في الرفاهية العاطفية للمجتمعات المتضررة. إنها توفر إطارًا آمنًا وخدمات تتكيف مع الاحتياجات النفسية الاجتماعية للمستخدمين (Bladek، 2021؛ .Wahler et al، 2020). ناب وآخرون (2023) تنص على أن المكتبات يمكنها أيضًا تقديم خدمات الصحة العقلية الرقمية.

مع صعود التكنولوجيا الرقمية، يجب أن تتكيف استراتيجيات إدارة المخاطر أيضًا. عابدين وآخرون (2023) يوضح أن تبني مبادئ العلوم المفتوحة يمكن أن يعزز قدرة المكتبات على الصمود في مواجهة الأزمات. ومع ذلك، فريد وآخرون. (2023) تسلط الضوء على التحديات مثل ثغرات الأمن الرقمي، ونقص التمويل ومقاومة التغيير، وبالتالي تعريض المكتبات للتهديدات السيبرانية وفقدان البيانات.

7.2 استراتيجيات إدارة الكوارث:

لقد أجريت العديد من الدراسات حول استراتيجيات إدارة الكوارث والتي أظهرت أن المكتبات تدرك الآن أهمية ذلك وتعمل على وضع خطة لتقليل احتمالية وقوع الكوارث وحماية الموارد إلى جانب الموارد البشرية. أجرى أدينكو (2005) دراسة لمعرفة مستوى الوعي بالاستعداد للكوارث بين الموظفين والمستخدمين، وسلط الضوء على أهمية وضع خطة. وتشير النتائج إلى

عدم وجود خطة للتعافي من الكوارث للمكتبة؛ كما أن المستخدمين والموظفين لا يحصلون على التدريب المناسب لاستخدام مطفأة الحريق والتعامل مع الموقف الكارثي.

أوغووانيي وآخرون (2015) قام بدراسة التدابير الوقائية والتكنولوجية والتكيفية التي تتبناها المكتبات الجامعية لإدارة الكوارث بمساعدة استبيان منظم.

وكشفت النتائج أن المكتبات اتخذت بعض الإجراءات الوقائية ولكن الإجراءات التكنولوجية والتكيفية كانت غائبة. كما أوصى بضرورة اعتماد إطار مناسب للحفاظ على موارد المكتبة.

اعتمد إيشولا (2017) منهجية المسح للتأكد من الحفاظ وإدارة الكوارث التي يتم تنفيذها في المكتبات الجامعية. وأظهرت النتائج أن الحفظ والصيانة كانا مفقودين في النصوص المكتوبة وأن البعض كان لديه السياسة ولكن لم يلتزم بها.

وقد رأى الباحث وأوصى في الدراسة بضرورة الاهتمام بالحفاظ على التراث وإدارة الكوارث في المؤسسات الأكاديمية

ينبغي أن يتم تفويض ذلك من قبل السلطة التنظيمية لتلك المؤسسة. حاول كوشاواها وسينغ (2021) في دراستهم الأخيرة فحص استراتيجيات الاستعداد للكوارث قبل الكوارث وأثناءها وبعدها في مكتبات الجامعات المركزية. وتظهر نتائج الدراسة أنه لم يكن هناك سوى عدد قليل من الاستراتيجيات لمكافحة الكوارث. قام أهنكوراه-مارفو وبورتي (2010) بالتحقيق في الاستعداد والوعي بين موظفي المكتبة لمكافحة الكوارث وإدارتها. إلى جانب الاستبيانات والمقابلات الشخصية، تم استخدام أساليب جمع البيانات الأولية، وتم استخدام برنامج SPSS للتحليل. ومن الواضح جدًا من الدراسة أن الموظفين لم يحصلوا على التدريب الكافي، وبالتالي لم يكونوا مستعدين لمنع الكوارث ومكافحتها وإدارتها.

مكن أن يُساعد وضع استراتيجيات للتأهب للكوارث في الحد من المخاطر المرتبطة بها. نشرت مراكز الرعاية الطبية والخدمات الطبية (2023) لوائح التأهب للطوارئ في عام 2016، والتي تتضمن أربعة عناصر أساسية لقواعد التأهب للطوارئ. تُؤكد هذه العناصر على أهمية التخطيط لأنواع مُختلفة من حالات الطوارئ. هذه العناصر الأساسية الأربعة هي تقييم المخاطر والتخطيط، وخطة التواصل، والسياسات والإجراءات، والتدريب والاختبار.

العنصر الأول هو خطة الطوارئ وتقييم المخاطر. يُمكن تعريف خطة الطوارئ بأنها وثيقة مكتوبة شاملة تُحدد المبادئ التوجيهية لاستخدام الموارد المُتاحة لمعالجة القضايا المُلحة الناشئة عن تأثير الأحداث السلبية (ألكسندر، 2016).

يمكن أن يُساعد تقييم المخاطر في تحديد المخاطر المُحتملة، ويُتيح وضع خطة طوارئ تشمل جميع الاحتمالات (راندولف، 2015). بدلاً من أن تكون خطة الطوارئ إجراءً، يجب أن تُنسق الأنشطة مع الأطراف المعنية، والتي قد يكون لديها إجراءاتها الخاصة للاستجابة للطوارئ (ألكسندر، 2016).

العنصر الثاني، خطة الاتصال، يعمل على ضمان تبادل سلس للمعلومات داخل المنظمة ومع الجهات الخارجية. من المهم تحديد وتحديث قائمة الأطراف المعنية على جميع المستويات، سواء داخل المنظمة أو خارجها. تعتمد الاستجابة الناجحة للطوارئ على نهج الفريق، حيث يتعاون الأفراد ذوو المهارات المتخصصة لاحتواء الأحداث الخطرة وحلها من خلال التواصل الواضح والإجراءات المنسقة والتنفيذ الاستراتيجي (Dunn et al., 2002).

تستند السياسات والإجراءات إلى خطة الطوارئ وتقييمات المخاطر الأكثر تفصيلاً، وتشمل جوانب مختلفة من التأهب للطوارئ. وفقًا لريتش (2008)، تعمل السياسات كمبادئ توجيهية لتشغيل المنظمة. تحدد السياسات عمومًا معايير السلوك، والامتثال للمسؤوليات القانونية، والمبادئ التوجيهية، وطرق التعامل مع المواقف التي تعكس رسالة المنظمة وقيمها. تترجم الإجراءات السياسات إلى أساليب محددة للعمليات اليومية.

وأخيرًا، يجب أن تخضع خطة الطوارئ المُعدّة للاختبار والتدريب قبل تطبيقها في حالة طوارئ حقيقية. يُعدّ التدريب والاختبار أمرًا بالغ الأهمية لتحديد المشاكل ونقاط الضعف القائمة، بالإضافة إلى توفير فرص للتحسين. ويمكن لهذه العملية أن تُعزز التنسيق والتواصل على جميع المستويات (Vendrell, 2001).

7.3 إجراءات الدعم بعد الأزمة: الاستجابات والمساهمات لمساعدة المكتبات المتضررة من الكوارث

إن الكوارث الطبيعية والبشرية لها تأثير عميق على المكتبات في جميع أنحاء العالم، مما يعرض للخطر ليس فقط مجموعاتها ولكن أيضًا الخدمات الأساسية التي تقدمها للمجتمعات. قامت دراسة أجراها أخشيك وبيجلو (2023) بتحليل 44 دراسة بحثية دولية حول إدارة الأزمات

في المكتبات، مع تسليط الضوء على أهمية الاستعداد وتدريب الموظفين وتقييم المخاطر. وأشار المؤلفون إلى أن غالبية المكتبات التي تمّت دراستها تفتقر إلى خطط رسمية لإدارة الأزمات، مما أعاق قدرتها على الاستجابة بفعالية لحالات الطوارئ. إن هذا الافتقار إلى الاستعداد مثير للقلق لأنه يحد من قدرة المكتبات على الصمود في مواجهة الكوارث ويعرض دورها كمراكز للمعلومات ودعم المجتمع للخطر.

وتوضح الأحداث الطارئة، مثل إعصار هايان الذي ضرب الفلبين في عام 2013، مدى الحاجة إلى الاستعداد الكافي. لاحظ سوبريو وألايون وأوليفيروس (2019) أن المكتبات في جزيرة باناي، على الرغم من تلقيها المساعدة بعد الأزمة، تفتقر إلى خطط استمرارية الأعمال والموارد اللازمة للاستجابة السريعة. ويوصي المؤلفون بتنفيذ تدريبات منتظمة وشراكات مع المنظمات المحلية والدولية لتعزيز قدرة المكتبات على الصمود في مواجهة الكوارث المستقبلية. وفي غياب مثل هذه المبادرات، واجهت هذه المكتبات صعوبة في استئناف خدماتها ودعم المجتمعات المتضررة.

وفي دراسة أخرى أجريت في اليونان، كشف كوستاجيولاس وباباداتوس وميتاسيوتيس (2011) أن المكتبات الأكاديمية اليونانية لم تكن مستعدة بشكل جيد لحالات الطوارئ بسبب القيود الميزانية والافتقار إلى الوعي بإدارة المخاطر. ويؤكد المؤلفون على ضرورة دمج إدارة الكوارث في التخطيط الاستراتيجي للمكتبات وتطوير التعاون مع المؤسسات المتخصصة لتطوير خطط استجابة فعالة. تسلط هذه الدراسة الضوء على أهمية الاستعداد المؤسسي لضمان التعافي السريع واستمرارية الخدمات في حالة وقوع كارثة.

وقد سلط إعصار كاترينا في عام 2005 الضوء على الدور الحاسم الذي تلعبه المكتبات العامة باعتبارها مراكز دعم المجتمع في حالات الأزمات. ووصف هاملتون وبراون (2016) كيف عملت المكتبات في ساحل الخليج الأمريكي كنقط وصول إلى الإنترنت، ومساعدة إدارية، ومراكز معلومات للسكان النازحين. وقد أدت هذه التجربة إلى إعادة تعريف دور المكتبات في أوقات الأزمات، مع التركيز على ضرورة دمج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في إدارة الكوارث واستمرارية الخدمة. وعلاوة على ذلك، يوصي المؤلفون بتعزيز التعاون مع المنظمات الحكومية وغير الحكومية لتحسين إدارة الأزمات على المستويين المحلي والوطني.

وتسلط دراسة عبد الله (2020) الضوء على الدور الأساسي للمؤسسات الثقافية في دعم المكتبات بعد الكوارث الطبيعية. تتناول الدراسة أشكال المساعدة المختلفة، بدءًا من توفير الموارد المادية والمالية وحتى المساعدة الفنية لاستعادة المجموعات التالفة. ويؤكد المؤلف على ضرورة إقامة شراكات قوية من أجل تعبئة الموارد بسرعة وضمان الدعم المستدام.

ومن جانبه، يستكشف محاميد (2022) استراتيجيات الدعم والتضامن المطبقة في قطاع المكتبات بعد الأزمات الكبرى. وتسلط الدراسة الضوء على أهمية التخطيط الاستباقي لتدابير الإغاثة، بما في ذلك تدريب الموظفين، وإنشاء شبكات التضامن، ودمج التقنيات الحديثة لتسهيل إدارة الأزمات. وتوصي الدراسة أيضًا بإنشاء سياسات وطنية مخصصة لإدارة ما بعد الأزمات، من أجل ضمان الاستعداد بشكل أفضل للكوارث المستقبلية.

وأخيرًا، قام نيومان وهاريس (2015) بدراسة تأثير إعصار إيفان على مكتبات جامعة جزر الهند الغربية في جامايكا، حيث قاما بفحص استجابة هذه المكتبات بعد الكارثة. واستنتج المؤلفون أن دمج خطة إدارة الأزمات، والنسخ الاحتياطي المنتظم للبيانات، وتدريب الموظفين كانت ضرورية للتعافي السريع للأعمال. وأوصوا بتطوير بروتوكولات استجابة تأخذ في الاعتبار ليس فقط الحفاظ على المجموعات المادية، بل أيضًا استمرارية الخدمات الرقمية، لتلبية احتياجات المجتمعات بشكل أفضل بعد الكارثة.

7.4 تأثير انفجار 4 آب/أغسطس 2020 على مكتبات بيروت

كان للانفجار المأساوي الذي وقع في 4 أغسطس/آب 2020 في بيروت عواقب مدمرة على العديد من مناطق المدينة، بما في ذلك مكتباتها. وتعرضت المؤسسات الثقافية، مثل المكتبات، لتدمير مادي كبير، مما أثر على مجموعاتها وبنيتها الأساسية. لقد تعرض التراث المكتوب والسمعي البصري للضرر، مما أضر بحفظ الذاكرة الجماعية والأرشيف التاريخي للبنان. لقد اضطرت العديد من المكتبات إلى التعامل مع خسائر كبيرة في المواد والمجموعات، فضلاً عن التحديات المتعلقة بأمن واستمرارية خدماتها.

وفي هذا السياق، قامت العديد من الدراسات بتحليل كيفية استجابة المكتبات للأزمات والكوارث. وفقًا لألين (2021)، تُعد المكتبات مؤسسات أساسية في أوقات الأزمات، ليس فقط لدورها في الحفاظ على المعرفة، ولكن أيضًا لقدرتها على تقديم خدمات حيوية للمجتمعات. في أعقاب انفجار الرابع من أغسطس/آب، واجهت مكتبات بيروت تحديات

معقدة، تتراوح بين إدارة الدمار المادي لمبانيها والحفاظ على المواد التالفة. تتضمن استجابات الأزمات في قطاع المكتبات، وفقًا لغالو (2020)، استراتيجيات إدارة الأزمات القائمة على التعاون مع منظمات الدعم المحلية والدولية.

إن تدابير الدعم بعد الكوارث ضرورية لإعادة بناء المكتبات واستعادة المجموعات التالفة. وفقًا لتايلور وجوبتا (2021)، فإن استعادة مجموعات المكتبات بعد الأحداث المؤلمة تعتمد على التعاون الفعال بين المكتبات ومنظمات الحفظ المتخصصة. بالنسبة للمكتبات المتضررة من انفجار الرابع من آب/أغسطس، تم إطلاق مبادرات تضامنية، بدعم من المنظمات الدولية مثل اليونسكو، بالإضافة إلى المكتبات والمؤسسات الثقافية في الدول المجاورة. وكانت هذه التعاونات حاسمة لإنشاء برامج الترميم والرقمنة للمجموعات.

وكان أحد أهم الاستجابات بعد الأزمة هو تحديد استراتيجيات محددة لإدارة الأرشيفات والوثائق التالفة. وقد تم تسليط الضوء على هذا العمل بشكل خاص في بحث لي وواو (2022)، حيث أظهرا أن المكتبات بحاجة إلى الاعتماد على الخبراء في إدارة الأرشيفات واستعادة الوثائق للحد من الخسائر. وفي بيروت، تعاونت عدة مكتبات، بما في ذلك المكتبة الشرقية ومكتبة السبيل، مع خبراء متخصصين في ترميم المجموعات المتضررة، مع وضع تدابير وقائية ضد الكوارث المحتملة في المستقبل.

وفي نهاية المطاف، تعتمد قدرة المكتبات على التعافي من الأزمة أيضًا على التزام المجتمع والسلطات المحلية. وفقًا لـLeung و Lin (2021)، فإن مرونة المكتبات في سياقات الأزمات تعتمد على قدرتها على تعبئة الموارد وتعزيز شبكتها من الشركاء. وفي بيروت، لم تتلق المكتبات التمويل اللازم لترميم مبانيها فحسب، بل استفادت أيضاً من التزام المجتمع المحلي والمتطوعين والخبراء الذين ساهموا في الحفاظ على التراث الثقافي للمدينة. ويظل الدعم المقدم من الحكومات والمنظمات الدولية أمرا حاسما لضمان إعادة بناء البنية التحتية وضمان استمرارية الخدمات الأساسية للمكتبات.

علاقة هذه الدراسة بالدراسات السابقة

لقد وفّرت الدراسات السابقة حول إدارة الأزمات في المؤسسات الثقافية أساسًا نظريًا قويًا لهذا العمل. لقد سمحوا لي بفهم المفاهيم الأساسية والأساليب المنهجية المستخدمة لتقييم آثار الكوارث على التراث وتنظيم استجابات المؤسسات. ومن خلال هذه الدراسة، تمكنت من

فهم أهمية النهج المتعدد الأبعاد، الذي يدمج الحلول الفورية والاستراتيجيات طويلة الأمد للحفاظ على المجموعات. وكشفت هذه الدراسات أيضًا عن التحديات والنجاحات التي حققتها مختلف مبادرات الاستجابة للطوارئ في جميع أنحاء العالم، مما يوفر أساسًا قيمًا للمقارنة لتحليل وضع مكتبات بيروت بعد انفجار الرابع من أغسطس. وقد أتاحت لي أمثلة الممارسات الجيدة، مثل التعاون مع خبراء الحفاظ على التراث أو إنشاء شبكات الدعم، تطوير سبل التفكير في أفضل الأساليب التي يمكن اتباعها في حالة مكتبات بيروت المتضررة من الكارثة.

وفي هذا السياق، واستناداً إلى النتائج المستخلصة من الأدبيات والبيانات التي تم الحصول عليها خلال الزيارات الميدانية للمكتبات المعنية، فضلاً عن المناقشات مع المسؤولين المحليين، تسعى هذه الدراسة إلى تحديد التحديات الرئيسية التي واجهتها هذه المؤسسات، ولكن أيضاً إلى استكشاف آليات المرونة التي طورتها. ورغم أن أغلب مكتبات بيروت عانت من غياب الاستجابة الرسمية السريعة وعدم فعالية التدابير الوقائية، إلا أن المبادرات المحلية لعبت دوراً محورياً في الحد من الأضرار وتسهيل التعافي. يهدف هذا العمل إلى سد فجوة كبيرة في توثيق استجابات التراث للأزمات في لبنان، مع تسليط الضوء على الحاجة إلى نهج أكثر تكاملاً وشاملاً لإدارة المخاطر. كما يهدف المشروع إلى صياغة توصيات لأصحاب المصلحة في التراث والسلطات العامة والمنظمات الدولية، من أجل تعزيز القدرة المحلية على الصمود في مواجهة الأزمات المستقبلية، بالاستفادة من المعرفة والخبرات المكتسبة على أرض الواقع.

8. الرابع من آب وتداعياته على الذاكرة الثقافية للبلاد

كان الانفجار الذي وقع في مرفأ بيروت في 4 أغسطس/آب 2020 أحد أكثر الأحداث تدميراً في تاريخ لبنان المعاصر، حيث تسبب في خسائر بشرية ومادية ورمزية كبيرة. وفي حين سلطت الصور الأولى الضوء على الدمار المادي والمأساة الإنسانية، فإن العواقب التي لحقت بالذاكرة الثقافية للبلاد ظلت إلى حد كبير في الظل. ومع ذلك، فإن التداعيات على المؤسسات التراثية - الأرشيفات والمكتبات والمتاحف - قد عرّضت جزءًا ثمينًا من الهوية الجماعية اللبنانية للخطر (اليونسكو، 2020). وكشفت الكارثة عن هشاشة البنية التحتية للذاكرة في بلد يواجه بالفعل أزمات متعددة.

تتكون الذاكرة الثقافية لأي بلد من الوثائق والأعمال والأشياء والأماكن التي تحكي قصته وتعكس هويته. وتلعب المؤسسات التي تحافظ على هذا التراث دوراً أساسياً في المجتمع،

من خلال تعزيز النقل بين الأجيال والاعتراف بالتراث المشترك (Assmann، 2011). عندما تتعرض هذه الأماكن للضرر أو التدمير، لا تسقط الجدران فقط، بل تمحى القصص أيضًا. وأثر الانفجار بشكل مباشر على العديد من الأماكن الثقافية الواقعة في الأحياء المحيطة بالميناء، بما في ذلك المعارض الفنية والمتاحف والمدارس ومساحات العرض. وشهدت المؤسسات التعليمية مثل كلية القلب الأقدس أو المراكز الثقافية مثل معرض مارفا تدميرًا جزئيًا لمبانيها، مما وضع حدًا للمشاريع التعليمية والفنية الجارية (بو عكر، 2021). وقد أدى الإغلاق المطول لهذه المساحات إلى انخفاض حاد في الحضور، مما أثر بشكل مباشر على قطاع السياحة والدخل الناتج عن الزيارات الثقافية. وقد أدى هذا التباطؤ المفاجئ في النشاط إلى إضعاف الاقتصاد الذي يعاني بالفعل من أزمة، وخاصة في مجالات الثقافة والسياحة والحرف اليدوية (اليونسكو، 2020).

ومن بين المكتبات الأكثر تضرراً مكتبة بيروت الشرقية، إحدى أقدم وأغنى المكتبات في المنطقة. وقد تعرضت المكتبة، التي تضم مخطوطات نادرة ومجموعات فوتوغرافية وأعمالاً قديمة بالعديد من اللغات، لأضرار جسيمة: نوافذ مكسورة، وأسقف منهارة، ورطوبة تهدد الوثائق الثمينة (غونزاليس، 2021). وفي حين ساعد عمل فرق المتطوعين والمساعدات الدولية في تجنب الخسائر التي لا يمكن إصلاحها، إلا أن هذا الوضع أثار تساؤلات حول وسائل حماية المكتبات وقدرتها على الصمود في مواجهة الكوارث.

كما تأثرت مؤسسات أخرى، مثل المكتبة الوطنية في بيروت، على الرغم من أنها تقع بعيدًا عن مركز الزلزال، وخاصة فيما يتعلق بإدارة الوصول واستمرارية الخدمة وأمن المجموعات (IFLA، 2021). وقد أبرز هذا السياق الحاجة الملحة إلى تطوير خطط إدارة المخاطر والتحول الرقمي وتدريب الموظفين على الاستجابة للطوارئ. يجب أن تكون المكتبات، باعتبارها أماكن للمعرفة والذاكرة والملجأ الفكري، أولوية في أي استراتيجية وطنية للتعافي الثقافي.

باختصار، كان يوم الرابع من أغسطس/آب 2020 بمثابة كاشف: عن مدى الهشاشة الشديدة التي تعاني منها المؤسسات الثقافيّة اللبنانية، ولكن أيضًا عن أهميتها الحيوية في إعادة بناء الروابط الاجتماعية والاقتصادية. لقد كان لشلل الأنشطة الثقافية، وفقدان الزوار، وتدهور المواقع التراثية تأثير متسلسل على قطاع السياحة، مما حرم المدينة من محرك رئيسي لحيويتها الاقتصادية.

إن الحفاظ على الذاكرة ليس ترفا في أوقات الأزمات؛ إنها حالة من البقاء الرمزي والثقافي والاقتصادي. وهي أيضًا دعوة إلى الدولة والشركاء الدوليين والمواطنين لإعادة التفكير في حماية التراث الثقافي باعتباره ركيزة أساسية للمرونة الوطنية.

9. *المكتبات في لبنان: ركائز المعرفة والهوية الثقافية*

لقد احتلت المكتبات على مدى قرون من الزمن مكانة مركزية في تطور الحضارات. إنهم حماة حقيقيون للذاكرة المكتوبة، فهم يحافظون على المعرفة التي تراكمت لدى البشرية، من المخطوطات القديمة إلى الوثائق المعاصرة. وفي المجتمعات الحديثة، توسع دورهم ليتجاوز مجرد الحفاظ عليه ليشمل الوصول إلى المعلومات والتعليم والدراسة والمشاركة في الحياة الثقافية. وبهذا المعنى، تشكل المكتبات حلقة وصل أساسية في التراث المادي والمعنوي للأمة (IFLA، 2019).

تاريخيا، كانت المكتبات العظيمة - من مكتبة الإسكندرية إلى الأديرة في العصور الوسطى - هي التي مكنت من نقل المعرفة عبر العصور. وفي لبنان، لعبت مؤسسات مثل المكتبة الوطنية، والمكتبة الشرقية، والمكتبات الخاصة مثل كلية الحكمة، دوراً حاسماً في الحفاظ على الكتابات النادرة، والمجلات القديمة، والخرائط، والأرشيفات الفوتوغرافية، والمجموعات المتعددة اللغات. وعلى مدى عقود من الزمن، أصبحت هذه المدن أماكن مرجعية للباحثين والطلاب والكتاب، ولكن أيضًا للمواطنين الراغبين في فهم تاريخهم وهويتهم بشكل أفضل (بو حبيب، 2020).

مع تطور التكنولوجيا، تحولت المكتبات تدريجيا إلى مساحات هجينة تجمع بين المجموعات المادية والرقمية. واليوم، تلبي هذه المجتمعات احتياجات متعددة: حرية الوصول إلى المعلومات، والاندماج الاجتماعي، والتعليم مدى الحياة،..... وقد توسعت مهمتهم لتشمل الوساطة الثقافية، وتعزيز الحياة الفكرية المحلية، وديمقراطية المعرفة. وفي سياقات الأزمات - الصراعات والأوبئة والكوارث الطبيعية - تلعب المكتبات أيضًا دورًا في المرونة: فهي توفر أماكن آمنة ومستقرة ويمكن الوصول إليها للجميع (IFLA، 2021).

وفي لبنان، ورغم التحديات السياسية والاقتصادية والأمنية، استطاعت المكتبات أن تحافظ على وجودها ورسالتها. ومع ذلك، سلط الانفجار الذي وقع في مرفأ بيروت في عام 2020 الضوء على ضعف هذه البلدان. لقد تعرضت مؤسسات مثل المكتبة الشرقية لأضرار جسيمة، مما يعرض موارد التراث التي لا يمكن تعويضها للخطر. وسلطت هذه الكارثة الضوء على الحاجة

الملحة لتطوير استراتيجيات وطنية لحماية المجموعات والرقمنة وإدارة المخاطر وتدريب المهنيين في هذا القطاع. وأشارت إلى أن الحفاظ على الذاكرة الجماعية يتطلب حتما دعم المكتبات، باعتبارها لاعبا أساسيا في الثقافة والتاريخ والروابط الاجتماعية.

9.1 المكتبة الشرقية: كنز تراثي في قلب بيروت

تقع المكتبة الشرقية في منطقة مونو المركزية في بيروت، وهي واحدة من المؤسسات التراثية الأكثر شهرة في لبنان والعالم العربي. تأسست عام 1875 على يد الآباء اليسوعيين، وتشكل ركيزة أساسية للتراث الفكري والتاريخي للمنطقة. تتبع هذه المكتبة لجامعة القديس يوسف، وتتمثل مهمتها في الحفاظ على التراث الوثائقي الفريد المتعلق بالشرق الأدنى والعالم العربي والإسلام والمسيحية الشرقية وتاريخ لبنان، وتعزيزه ونقله.

منذ تأسيسها، تم تصور المكتبة كمكتبة بحثية متخصصة في الدراسات الشرقية، مع رغبة واضحة في توثيق الثقافات والأديان ولغات الشرق الأدنى. وقد تعزز هذا التوجه من خلال البعثات العلمية التي قام بها اليسوعيون في بلاد الشام. وقد تم إثراؤها من خلال اقتناء الأموال النادرة والمتخصصة، والتبرعات من العلماء، والوصايا الخاصة، والتبادلات مع المؤسسات العلمية الأخرى.

على مدى عقود من الزمن، أصبحت المكتبة الشرقية مركزًا رائدًا للمستشرقين الأوروبيين والعرب، حيث اجتذبت علماء اللغويات والمؤرخين وعلماء اللاهوت وعلماء الأنثروبولوجيا. وقد تمكنت من إقامة شبكة تعاون دولية مع المكتبات والمؤسسات التراثية الكبرى، بما في ذلك المكتبة الوطنية الفرنسية، ومعهد العالم العربي، واليونسكو. وساهمت هذه الشراكات في تعزيز دوره كمرجعية في العلوم الإنسانية المطبقة في العالم العربي والمتوسطي.

تقع المكتبة الشرقية في منطقة مونو في الأشرفية، وتشغل مبنى تاريخيًا مدرجًا على قائمة التراث، في قلب الحرم الجامعي الرئيسي لجامعة القديس يوسف (USJ). ولسوء الحظ، فإن قربه من مرفأ بيروت جعله عرضة للآثار المدمرة لانفجار 4 أغسطس/آب 2020. وقد تسبب الانفجار في أضرار جسيمة في هيكل المبنى، مما أثر على الرفوف والمنشآت الفنية، وعرض بعض المجموعات القيمة للخطر. ومع ذلك، فإن الاستجابة السريعة والمنسقة من جانب الاتحاد المسيحي، بدعم من الشركاء المحليين والدوليين، مكنت من إطلاق عمليات الإنقاذ والترميم دون

تأخير. وكان هذا التحرك حاسماً في الحفاظ على الجزء الأساسي من هذا التراث الوثائقي الذي لا يقدر بثمن.

تحتفظ المكتبة الشرقية اليوم بمجموعة مكونة من أكثر من 250 ألف عمل، موزعة على عدة قرون وبعشرات اللغات. ومن بينها نحو 3500 مخطوطة نادرة، مكتوبة باللغات العربية والسريانية والأرمنية والفارسية والتركية العثمانية واليونانية واللاتينية. ويحتوي المتحف أيضًا على مخطوطات قديمة، وأعمال مطبوعة قبل عام 1501، بالإضافة إلى خرائط قديمة، وأرشيفات فوتوغرافية، ودوريات نادرة، ومجموعات صوتية، ووثائق أرشيفية خاصة.

وتضم مجموعتها الفوتوغرافية، التي تعد من أغنى المجموعات في بلاد الشام، آلاف الصور الفوتوغرافية التي يعود تاريخها إلى القرن التاسع عشر، والتي توضح التطور الحضري لبيروت، والعادات الاجتماعية، والحياة الدينية، والصراعات، والتحولات السياسية في لبنان ومحيطه. وتشهد هذه الأرشيفات الأيقونية، مثل المخطوطات والمجموعات المطبوعة، على التنوع الديني واللغوي والثقافي الذي يميز البلاد.

ليست المكتبة الشرقية مجرد مساحة للحفظ، بل هي مركز بحثي نشط. ويستقبل سنويا الباحثين المحليين والدوليين وطلبة الماجستير والدكتوراه، بالإضافة إلى المؤرخين وأمناء الأرشيف والصحفيين المتخصصين. وهو أيضًا مكان للحوار بين الأديان، ومساحة تعكس تعقيد وثراء التراث الشامي.

الخسائر جراء الانفجار واستراتيجيات إعادة التأهيل

أكّدت نائبة رئيس جامعة القديس يوسف الدكتورة كارلا إدّه أن المكتبة الشرقية تضررت بشكل كبير جراء الانفجار المزدوج الذي وقع في 4 آب 2020 في مرفأ بيروت. تعرضت المكتبة، التي تقع على بعد أمتار قليلة من مركز الزلزال، لأضرار كبيرة. وتحطمت النوافذ، وكسرت الأبواب وإطارات النوافذ، وتشققت الجدران والأسقف، وخاصة في المناطق الحساسة مثل غرفة المخطوطات وغرفة التبريد في مكتبة الصور، حيث يتم الاحتفاظ بمجموعات هشة بشكل خاص.

كما تضررت الأثاثات الموجودة في المكتبة أيضًا من شدة الصدمة. تم تدمير الأنظمة الأساسية للعمل السليم للمساحات المحمية، مثل أجهزة التهوية الميكانيكية الخاضعة للرقابة وأجهزة إزالة الرطوبة. بالإضافة إلى ذلك، تم تدمير العديد من الأجهزة التكنولوجية الضرورية

للعمل اليومي، بما في ذلك أجهزة الكمبيوتر، وآلات النسخ، والماسحات الضوئية، وكذلك الكاميرات المستخدمة في إعادة إنتاج الأفلام المصغرة. وقد أثرت هذه الخسائر المادية بشكل عميق على قدرة المكتبة على ضمان حماية مجموعاتها والاطلاع عليها.

وعلى الرغم من حجم الأضرار، فقد سلط الدكتور جوزيف رستم، المدير الحالي للمكتبة الشرقية، الضوء على عنصر مدهش: فالمجموعات نفسها، المخزنة في خزائن مصممة خصيصا مثبتة في السقف والأرضية، تم الحفاظ عليها بشكل رائع. وقد لعب هذا التركيب المبتكر دوراً حاسماً في منع الكتب والمخطوطات والوثائق الثمينة من الضياع أو التدمير بسبب الانفجار، وبالتالي حماية جزء كبير من التراث المحفوظ.

وأخيرا، وهذه نقطة أكدت عليها الدكتورة كارلا إده بمشاعر مؤثرة، لم تقع إصابات بين الموظفين والباحثين الحاضرين في ذلك اليوم، وهي معجزة حقيقية نظرا لقرب المكتبة من الميناء والأضرار الكبيرة التي لحقت بها. وتسلط هذه الفرصة المذهلة الضوء على مدى ضرورة ربط حماية التراث بسلامة الأشخاص الذين يعملون على حمايته. ومنذ ذلك الحين، بُذلت جهود مكثفة لاستعادة البنية التحتية المتضررة وضمان استمرارية المهام الثقافية والعلمية للمكتبة الشرقية.

عمليات الترميم واستراتيجيات الدعم

بعد وقوع الكارثة بفترة وجيزة، تم تنظيم موجة هائلة من التضامن الدولي لمساعدة المكتبة الشرقية. وكما أفاد الدكتور جوزيف رستم، فقد استجابت العديد من المؤسسات المتخصصة لدعم إعادة تأهيل البنية التحتية المتضررة. ولعبت اليونسكو دوراً رئيسياً في تقديم مساعدات طارئة بلغت قيمتها 50 ألف دولار خصيصاً لترميم مكتبة الصور، مما أتاح البدء الفوري بأعمال إعادة التأهيل. وفي الوقت نفسه، قدمت منظمات مثل Blue Shield خبراتها في تأمين المبنى، بما في ذلك تركيب أغطية بلاستيكية على الأبواب والنوافذ المعرضة للخطر، وبالتالي منع المزيد من الأضرار الناجمة عن سوء الأحوال الجوية.

كما تم حشد لاعبين دوليين رئيسيين آخرين في ديناميكية الإغاثة وإعادة الإعمار. قام وفد مشترك من المجلس الدولي للآثار والمواقع (ICOMOS) والمجلس الدولي للمتاحف (ICOM) بزيارة الموقع في منتصف سبتمبر 2020، لتقديم الدعم الفني والتوصيات للترميم بما يتماشى مع المعايير الدولية. علاوة على ذلك، ساهمت منظمة ALIPH (التحالف الدولي لحماية التراث في

مناطق الصراع)، والمكتبة الوطنية في قطر، واليونسكو، والصندوق العربي للفنون والثقافة (آفاق) بشكل كبير في جهود الترميم، مالياً ولوجستياً، مما يدل على التعاون الإقليمي والعالمي المثالي. وكانت هذه التدخلات المشتركة ضرورية لبدء عملية التعافي المنظم.

ويؤكد الدكتور جوزيف رستم أن إعادة تأهيل المكتبة الشرقية لم يكن مجرد عودة إلى الوضع السابق، بل سعى إلى تحسين وتحديث البنية التحتية وفقا لأفضل الممارسات الدولية. وشملت أعمال الإصلاح النوافذ والأبواب، بالإضافة إلى الأنظمة التقنية الحيوية مثل التهوية وإزالة الرطوبة. بالإضافة إلى ذلك، تم إعادة تنظيم وتحديث المساحات المخصصة لحفظ الوثائق والمكاتب الإدارية وقاعات العرض ومناطق الدراسة بشكل كامل، من أجل توفير بيئة أكثر أمانًا ووظيفية للموظفين والمستخدمين.

ومن بين الأولويات التي تم تحديدها، احتلت رقمنة المجموعات مكانة مركزية في استراتيجية التعافي. استثمرت المكتبة الشرقية في اقتناء معدات جديدة، بما في ذلك الماسحات الضوئية والكاميرات عالية الدقة، لتسريع تحويل الوثائق المادية إلى صيغ رقمية. ويهدف هذا النهج إلى تعزيز الحفاظ على التراث، وتسهيل الوصول عن بعد إلى الموارد، والحد من المخاطر المرتبطة بالكوارث المستقبلية المحتملة. ويشكل هذا التحول الرقمي خطوة كبيرة في تحول المكتبة واستدامتها في مواجهة التحديات المعاصرة.

9.2 مكتبة السبيل: دورها وأهميتها في ذاكرة بيروت الثقافية

تعدّ مكتبة السبيل، التي تقع في قلب بيروت، إحدى المؤسسات الثقافية الكبرى في لبنان. يقع في مبنى تاريخي، ويمثل ركيزة أساسية لحفظ ونشر التراث الكتابي والفكري للمنطقة. ويوفر هيكلها المعماري الذي يجمع بين العناصر التقليدية والحديثة إطاراً ملائماً للدراسة والثقافة العامة، ويرحب بجمهور واسع يتراوح من الطلاب إلى الباحثين.

تأسست مكتبة السبيل في أوائل القرن العشرين، نتيجة لرغبة محلية في إنشاء مساحة مخصصة للمعرفة والتبادل الثقافي في سياق التحديث السريع. إن اسمها "السبيل" والذي يعني "الطريق" أو "الطريق" باللغة العربية، يعكس مهمتها تمامًا: توجيه ومرافقة القراء في بحثهم عن المعرفة. وعلى مدى عقود من الزمن، قامت المكتبة بإثراء مجموعاتها بالمخطوطات النادرة والأعمال القديمة والمعاصرة، فضلاً عن الوثائق الثمينة المتعلقة بتاريخ لبنان والشرق الأوسط.

تقع مكتبة السبيل في منطقة مركزية في بيروت، على مقربة من المؤسسات الأكاديمية والمراكز الثقافية، وتستفيد من موقع استراتيجي يسهل الوصول إليه للباحثين والطلاب. ويسمح لها هذا القرب بلعب دور فعال في النسيج الثقافي والتعليمي للمدينة، وتعزيز التعاون مع مختلف الكيانات الأكاديمية والفنية.

إن دور مكتبة السبيل يتجاوز مجرد إيداع الكتب. وهو مركز حقيقي للنشاط الثقافي، وينظم بانتظام معارض ومؤتمرات وورش عمل تهدف إلى تعزيز القراءة والحفاظ على التراث غير المادي. علاوة على ذلك، يلعب دورًا أساسيًا في الحفاظ على الأرشيفات المحلية، وبالتالي المساهمة في الذاكرة الجماعية للبنان. وفي مواجهة التحديات المعاصرة، بما في ذلك المخاطر المرتبطة بالصراعات والكوارث، شرعت المكتبة في مشاريع الرقمنة والحفظ لضمان استدامة مجموعاتها للأجيال القادمة.

الخسائر جراء الانفجار وطريقة التعامل

كان لانفجار مرفأ بيروت في 4 آب/أغسطس 2020 تداعيات وخيمة على المرافق الثقافية في المدينة، وخاصة على المكتبات البلدية التي تديرها جمعية السبيل. ومن بين هذه البلدات، كانت بلدة الباشورة الأكثر تضرراً، حيث تعرضت بنيتها التحتية لأضرار جسيمة. وتأثرت أيضًا مكتبتا جيتاوي ومونو، وإن كان بدرجة أقل. وأجبرت قوة الانفجار كافة هذه المناطق على تعليق أنشطتها ريثما يتم تأمين المباني والبدء بأعمال إعادة التأهيل.

التقنا بالسيّدة باتريسيا رحمة المديرة الحالية للمكتبة التي قالت أنّ هذه الكارثة زادت الوضع الأساسي سوءا فالأزمة الاقتصادية والصحية المستمرة في لبنان جعلت التشغيل اليومي للمكتبات أكثر تعقيدًا. وفي هذا السياق، أدى الضرر المادي إلى تفاقم القيود المالية واللوجستية التي تواجهها الجمعية، مما جعل الوصول إلى الخدمات الثقافية أكثر صعوبة بالنسبة للمواطنين. لقد شهدت المكتبات، التي عادة ما تكون مفتوحة للجميع وتقع في قلب حياة الحي، انقطاعًا مفاجئًا لأنشطتها التعليمية والاجتماعية والثقافية.

فهذا الانفجار تسبب في تدمير عدد كبير من صناديق العرض الزجاجية، وتسببت في كسر الأبواب والنوافذ، وإتلاف جزء كبير من الأثاث الداخلي. وانقلبت الأرفف، وألقيت مئات الكتب على الأرض، بعضها مجعدًا أو ممزقًا أو مغطى بالغبار والحطام. وتشققت الجدران في عدة أماكن، وانهارت بعض عناصر السقف والإضاءة جزئيا. وقد أدى هذا المستوى من الدمار

إلى جعل الوصول إلى هذه الأماكن غير ممكن مؤقتًا، مما يعرض أمن المبنى للخطر ويهدد سلامة المجموعات.

وكانت هذه الإغلاقات المؤقتة ذات تأثير مباشر على المجتمعات التي تخدمها. وبالإضافة إلى حرمان السكان من الوصول المجاني إلى المعلومات والقراءة، قاموا بتعليق الخدمات الأساسية، بما في ذلك ورش عمل الأطفال ومساحات عمل الطلاب والأنشطة المجتمعية. وفي مدينة اتسمت بعمق التوترات الاجتماعية وعدم المساواة، مثلت هذه المكتبات مكانًا نادرًا للتجمع والحوار والاندماج.

ورغم حجم الخسائر، إلا أن التجربة كشفت أيضاً عن تصميم فريق السبيل وتعلق السكان بهذه الأماكن. وبرزت مبادرات تضامنية، مما سمح باستئناف الأنشطة تدريجيا. وقد أثبتت الجهود المبذولة لترميم المباني وإحياء المكتبات دورها الأساسي في إعادة بناء نسيج اجتماعي أكثر مرونة وتوحدا وتطلعا إلى المستقبل.

عمليات الترميم واستراتيجيات الدعم

أعقاب الانفجار المدمر الذي وقع في مرفأ بيروت في 4 أغسطس/آب 2020، تعرضت المكتبات البلدية التي تديرها جمعية السبيل لأضرار جسيمة. وإزاء هذه المأساة، أتاح التعبئة السريعة والكبيرة للمنظمات المحلية والدولية دعم إعادة تأهيل هذه المساحات الثقافية الأساسية.

ومن بين المساهمين الرئيسيين، أطلق معهد GOETH لبنان صندوق طوارئ لدعم المؤسسات الثقافية المتضررة، بما في ذلك جمعية السبيل. وقد سمح هذا الدعم باقتناء المعدات التقنية والكتب، مما ساهم في استئناف أنشطة المكتبة.

وعلى نحو مماثل، أنشأ مكتب الشارقة عاصمة عالمية للكتاب 2019، بالتعاون مع هيئة الشارقة للكتاب، صندوق إغاثة طارئ للناشرين اللبنانيين المتضررين من الانفجار. كما ساهم هذا الصندوق في ترميم المكتبات العامة التي تديرها جمعية السبيل، لا سيما من خلال تجديد البنية التحتية وتوفير المعدات.

كما قدمت منظمات أخرى الدعم لجمعية السبيل، مثل جمعية أمناء المكتبات الفرنسيين، ومعهد محترفي المكتبات والمعلومات المعتمد (CILIP)، وجمعية الإمارات العربية

المتحدة لكتب اليافعين، وجمعية المكتبات اللبنانية، وغيرهم.... وكانت مساهماتهم ضرورية لإعادة تأهيل المكتبات واستئناف خدماتها الثقافية.

وبفضل هذا التضامن الدولي، استطاعت مكتبات مونو والباشورة والجعيتاوي إعادة فتح أبوابها أمام الجمهور، مقدمةً مرة أخرى مساحات للقراءة والتبادل والثقافة للمجتمع البيروتي.

10. نتائج الدراسة

أثّر انفجار مرفأ بيروت بشكل بالغ على العديد من المؤسسات الثقافية، بما في ذلك المكتبة الشرقية، وهي مكتبة خاصة شهيرة، والمكتبات العامة التي تديرها جمعية السبيل. وكان على هاتين الجهتين حشد موارد مختلفة للاستجابة لحالة الطوارئ، واستعادة مساحاتهما، وضمان استمرارية مهامهما. تسلط هذه المقارنة الضوء على أنواع المساعدات التي تلقتها، والجهات الفاعلة المعنية، وكذلك الاستراتيجيات التي اعتمدتها هذه المكتبات للتغلب على التحديات التي فرضتها الكارثة.

مقارنة بين استجابات ما بعد الانفجار والمساعدة المقدمة للمكتبة الشرقية ومكتبة السبيل

إدارة مخاطر الكوارث	المكتبة الشرقيّة	مكتبة السبيل
نوع المكتبة	خاص (جامعة القديس يوسف)	بلدية عامة (تديرها جمعية السبيل)
الأضرار التي لحقت بالمكتبة	أضرار جسيمة لحقت بالمبنى والواجهات	أضرار طالت المبنى والاثاث والمجموعات
إغلاق مؤقت	نعم، لترميم وتأمين المجموعات	نعم، وخاصة الباشورة والجيتاوي اللذان أصبحا مغلقين لفترة أطول.
التدخلات الوطنية	جامعة القديس يوسف، المتطوعون المحليون	بلدية بيروت، المتطوعون، الجمعيات اللبنانية
المساعدات الدولية	ALIPH، اليونسكو، مكتبة الفاتيكان، IFLA، المكتبة البافارية	الشارقة عاصمة للكتاب، معهد جوته، CILIP، Book Aid Int.

إدارة مخاطر الكوارث	المكتبة الشرقيّة	مكتبة السبيل
الإجراءات المتخذة	الترميم الهيكلي، خطة احتياطية، الرقمنة	إعادة تأهيل المساحات والأثاث والمعدات والألواح الشمسية
خطة التحول الرقمي أو النسخ الاحتياطي	نعم، الخطة قيد التنفيذ، الأولوية للمخطوطات	المشاريع الجزئية المستقبلية التي تمت مناقشتها حسب الوسائل
استئناف الأنشطة	تدريجيا من نهاية عام 2021	إعادة الافتتاح بعد ثلاثة أشهر من الانفجار
التأثير على الدور الاجتماعي والثقافي	الحفاظ على دور الجامعة والعلمي	تعزيز الدور المجتمعي والتعليمي بعد الأزمة

تحليل مقارن للتدخلات بعد الانفجار في مكتبتين منكوبتين بالكوارث

تسلّط المقارنة بين المكتبة الشرقية (مؤسسة جامعية خاصة) وجمعية السبيل (الإدارة الجمعياتية للمكتبات العامة البلدية) الضوء على ديناميكيات متميزة في الاستجابة لكارثة 4 أغسطس 2020، مع تسليط الضوء على نقاط التقارب في الرغبة في الحفاظ على التراث والحفاظ على الرسالة الثقافية.

وعلى المستوى المؤسسي، يستفيد المكتب من الاعتراف الدولي بالتراث باعتباره مركزًا بحثيًا عريقًا ومرجعيًا. وقد سهلت هذه الشرعية الوصول إلى المساعدات المؤسسية المنظمة، وخاصة تلك التي تقدمها المنظمات الدولية الكبرى مثل ALIPH، أو مكتبة الفاتيكان، أو المجلس الدولي للمتاحف. وقد مكّن هذا الدعم، الذي غالبًا ما يقترن بإجراءات صارمة وخبرة في التراث، من تحقيق عملية ترميم تدريجية، تسترشد بمبادئ الحفاظ على المدى الطويل: توحيد المباني، وإعادة تطوير المساحات المتخصصة، ومشاريع الرقمنة، وتنفيذ بروتوكولات إدارة المخاطر.

وعلى العكس من ذلك، استفادت جمعية السبيل، باعتبارها جهة ثقافية فاعلة متجذرة في الأحياء العاملة في بيروت، من التعبئة المجتمعية السريعة والدعم التضامني المتعدد الأوجه .وخاصة من المنظمات غير الحكومية الثقافية والمؤسسات الخاصة (معهد جوته، وبوك إيد، ومؤسسة الشارقة) والمتطوعين المحليين. تهدف الإجراءات إلى الترميم السريع للمساحات من أجل إعادة تأسيس المهمة الاجتماعية للمكتبة: الوصول إلى القراءة، وتنظيم ورش العمل،

والدعم النفسي والاجتماعي للأطفال والمراهقين. وبالتالي، فإن الإصلاحات لم تشمل فقط التحسينات المادية (الأرضيات والأسقف والأثاث)، بل شملت أيضًا التحسينات التي تسهل الاستقبال المجتمعي (نظام الصوت، إمكانية الوصول، الطاقة الشمسية).

ومن وجهة نظر استراتيجية ما بعد الأزمة، نلاحظ أن المكتب المركزي فضل نهجاً تراثياً ووقائياً، يركز على توثيق الأضرار والخبرة المحافظة وتأمين الأموال القيمة. ويندرج هذا النهج ضمن منطق أكاديمي وتراثي، حيث تكون الأولوية للأمد البعيد وجودة التدخلات. من جهة أخرى، اعتمدت جمعية السبيل منطق الطوارئ الاجتماعية والتربوية، مؤكدة على سرعة إعادة الفتح، والدعم النفسي للمستخدمين، واستئناف الحياة الثقافية المحلية.

وأخيرا، يختلف دور المجتمع بشكل كبير: حيث يظل المكتب مكانا للبحث المتخصص، مفتوحا للجمهور الأكاديمي، في حين تضع جمعية السبيل نفسها كفاعل للتماسك الاجتماعي، مع مهمة الوصول العادل إلى المعلومات والثقافة. وقد أثر هذا على أولوياتهم الخاصة: حيث لجأ المكتب إلى ترميم التراث بالاستعانة بخبرات خارجية، في حين قامت جمعية السبيل بتنشيط الموارد البشرية المحلية (المتطوعون، والشركاء البلديون، والمعلمون) لإعادة التواصل مع مستخدميها.

وفي الختام، توضح هذه الدراسة المقارنة نموذجين لإدارة الأزمات في المكتبات، كلاهما فعال ولكنهما يعتمدان على منطق مختلف: أحدهما مؤسسي ويرتكز على التراث، والآخر مجتمعي ووظيفي. ويوضح تكاملهما مدى غنى النسيج الوثائقي اللبناني وتنوع الاستجابات الممكنة لنفس الكارثة.

11. الدروس المستفادة والتوصيات بعد الكارثة

تكشف دراسة المقارنة للاستجابات التي اعتمدتها المكتبة الشرقية وجمعية السبيل لانفجار مرفأ بيروت عن مجموعة من الدروس الأساسية، سواء بالنسبة للمؤسسات المتضررة أو للقطاع الثقافي بالمعنى الأوسع، أهمّها :

- ضرورة التحول الرقمي والنسخ الاحتياطي الرقمي:

ومن بين الدروس الرئيسية التي يمكن تعلمها هو الأهمية الاستراتيجية لرقمنة المجموعات. وقد سلطت الكارثة الضوء على مدى هشاشة الوثائق المادية. وفي حين بدأت المكتبة العامة جهودها لتحويل مخطوطاتها وأرشيفاتها جزئيًا إلى صيغة رقمية قبل عام 2020، فقد

عزز الانفجار هذا التوجه، مما أدى إلى تسريع المشاريع الرقمية بدعم من خبراء الحفظ. بالنسبة لأسبيل، أصبحت الحاجة إلى إنشاء أرشيفات رقمية واضحة، خاصة للحفاظ على الموارد التعليمية والثقافية المتاحة للجمهور. من المستحسن أن تقوم أي مكتبة، عامة أو خاصة، بتنفيذ استراتيجية التحول الرقمي التدريجي، مع الاحتفاظ بنسخ احتياطية خارج الموقع.

- التأهب للكوارث وإدارة المخاطر:

وتظهر الحالتان المدروستان أن غالبية المؤسسات الثقافية في لبنان لم تكن مستعدة لمواجهة كارثة بهذا الحجم. إن الافتقار إلى خطط الطوارئ، أو إجراءات إدارة الأزمات، أو تحديد أولويات الدعم الاحتياطي قد أدى إلى إبطاء الاستجابات. لقد أصبح من الضروري إدخال بروتوكولات إدارة المخاطر داخل المؤسسات الثقافية، بما في ذلك: خطط إخلاء الأموال، وإعطاء الأولوية للمجموعات، وتحديد شركاء الطوارئ، وتدريب الموظفين والمحاكاة.

- التضامن والشراكات المجتمعية كعوامل للصمود:

وتظهر تجربة السبيل كيف أن إشراك المجتمعات المحلية والمتطوعين يعد عاملاً رئيسياً في التغلب على الأزمات بسرعة. وفي الوقت نفسه، تمكن المكتب من تفعيل شبكة دولية من الخبراء والمؤسسات المتحالفة، مما عزز فكرة أن الشراكات الاستراتيجية (المحلية والأكاديمية والمنظمات غير الحكومية) ضرورية لأي استراتيجية للصمود. ومن المستحسن لذلك أن يتم تحديد الشركاء المحتملين مسبقًا، سواء من الناحية الفنية أو المالية.

- قابلية الاستجابات للتكيف وفقا للسياق المؤسسي:

وتوضح حالة المكتبة الشرقية نموذجًا يعتمد على إعادة تأهيل التراث بأهداف طويلة الأجل، في حين توضح حالة Assabil فعالية النهج الذي يركز على إعادة الافتتاح السريع والخدمة العامة. ويمكن أن يكون الجمع بين هذين النهجين بمثابة نموذج هجين: ضمان حماية التراث مع الحفاظ على الوظيفة الاجتماعية والتعليمية للمساحات الثقافية.

- الاتصال الاستراتيجي والدعوة بعد الأزمات:

لقد لعبت القدرة على توثيق الأضرار، والتواصل بشفافية، وإيصال أصوات المؤسسات المتضررة دوراً رئيسياً في تأمين المساعدات. ويتضمن ذلك تعزيز المهارات في مجال التواصل أثناء الأزمات، وجمع بيانات الخسائر، وصياغة مذكرات المناصرة للمانحين أو الشركاء.

الخاتمة

لقد أدى انفجار الرابع من أغسطس/آب 2020 إلى تعطيل مكتبات بيروت بشكل كبير، مما سلّط الضوء على هشاشتها كما على قدرتها المذهلة في مواجهة الأزمات والتعافي. ويوضح النظر في قضيتي المكتبة الشرقية وجمعية السبيل الدور الأساسي الذي تلعبه هذه الأخيرة في حماية التراث الثقافي والحفاظ على النسيج الاجتماعي، على الرغم من العقبات العديدة التي واجهتها. وهاتان المؤسستان، على الرغم من اختلاف طبيعتهما ورسالتهما، تشهد كل منهما بطريقتها الخاصة على العواقب المتنوعة التي خلفتها هذه المأساة على القطاع. وتسلط تجربتهم الضوء قبل كل شيء على المرونة الثقافية اللازمة للتغلب على مثل هذه التجارب.

وكشفت هذه الدراسة أن القدرة على التكيف، وجودة شبكة الدعم (المحلية والدولية)، ووضوح الأهداف كانت عوامل حاسمة في نجاح الاستجابة بعد الأزمة. وفي حين فضلت هيئة التراث ترميم التراث بعناية ومنهجية، ركزت جمعية السبيل على الاستجابة الاجتماعية وإمكانية الوصول السريع إلى مساحاتها الثقافية.

هذا الانفجار أعطى درساً كبيراً سواء على صعيد التراث أو التنمية الوطنية. ففي مجال الحفاظ على التراث، كشفت هذه الكارثة عن ضرورة تعزيز أنظمة الرقمنة للمجموعات لضمان الحفاظ عليها في مواجهة المخاطر المستقبلية. وعلاوة على ذلك، أكّدت على ضرورة اعتماد إدارة استباقية للمخاطر على المستوى المؤسسي والوطني، فضلاً عن تعزيز التنسيق والتعاون بين الجهات الفاعلة المحلية والدولية. كما تبيّن أهمية اتباع نهج متكامل يجمع بين الابتكارات التكنولوجية والاستراتيجيات التنظيمية والتضامن الجماعي، لضمان استدامة المؤسسات الثقافية والحفاظ على النسيج الاجتماعي في أوقات الأزمات

ومن خلال كلّ هذا، يتضح أن كل مكتبة يجب أن تطور رؤية تتناسب مع مواردها، ولكن أيضًا تضع أنشطتها ضمن إطار أوسع لحماية التراث وتقديم الخدمات للمواطنين. ومن ثم، يمكن للأزمة أن تصبح فرصة للتحول البنيوي، وتحديث الممارسات، وإعادة تعريف الدور المركزي للمكتبات في المجتمع اللبناني اليوم.

الملاحق

ملحق رقم 1 : اسئلة المقابلة

أ. أسئلة سئلة حول الأضرار التي لحقت بالمكتبة

- هل ما هي أبرز تداعيات انفجار 4 آب/أغسطس 2020 على المكتبات العامة والخاصة في بيروت؟
- كيف أثرت الأضرار المادية على استمرارية الخدمات الثقافية والتعليمية التي تقدمها المكتبة الشرقية وجمعية السبيل؟
- ما هو تأثير الانفجار على مجموعات التراث والبنية التحتية المادية للمكتبات؟
- كيف أثّر الإغلاق المؤقت للمكتبات على المجتمع المحلي؟

ب. أسئلة حول الدعم المؤسسي

- ما هو الدور الذي لعبته الجهات المحلية والدولية في دعم إعادة تأهيل المكتبات المتضررة من الكارثة؟
- كيف اختلفت أساليب التدخل والموارد التي تم حشدها بين المكتبة الشرقية (العامة) وجمعية السبيل (الخاصة)؟
- ما هي المؤسسات الوطنية والدولية التي قدمت الدعم الرئيسي لترميم المكتبات؟
- كيف ساعد الاعتراف الدولي في تعبئة الموارد اللازمة للترميم؟

ت. أسئلة حول الاستعداد للأزمات والاستجابة لها

- ما هي تدابير إدارة المخاطر التي كانت موجودة قبل الانفجار وما مدى فعاليتها؟
- كيف نظمت المكتبات استجابتها الفورية للكارثة؟
- ما هي الأدوار التي لعبها المتطوعون والمجتمعات المحلية في عمليات التنظيف والترميم؟
- كيف قامت المكتبات بتكييف خدماتها خلال فترة الإغلاق؟

ث. أسئلة حول حول الترميم والدعم المالي

- ما هي أنواع التدخلات اللازمة لإعادة المكتبات إلى العمل؟
- كيف تم تأمين التمويل اللازم لأعمال الترميم، وما هي التحديات الرئيسية التي واجهتكم؟

- كيف شملت مشاريع التجديد تحسينات مستدامة، مثل تركيب الألواح الشمسية؟

ج. أسئلة حول الدروس المستفادة

- ما هي الدروس التي يمكن تعلمها من هذه الكارثة فيما يتعلق بإدارة المخاطر وحماية التراث؟
- كيف يمكن لرقمنة المجموعات أن تعزز قدرة المكتبات على الصمود في مواجهة الكوارث المستقبلية؟
- ما هي الاستراتيجيات التي يمكن وضعها لتعزيز التعاون بين الجهات الفاعلة المحلية والدولية؟
- كيف تؤثر هذه التجربة على السياسة الثقافية وإدارة المكتبات في سياق الأزمة الوطنية؟
- كيف يمكن للمكتبات دمج الدور الاجتماعي والمجتمعي بشكل أفضل في تخطيطها لما بعد الأزمة؟

المصادر والمراجع

1. السالم، محمد .(2019) .**إدارة الكوارث في المكتبات الجامعية: دراسة حالة مكتبة جامعة الملك سعود** .مجلة المكتبات العربية، 15(2)، 45-60.
2. الحسيني، نادر .(2021) .**الاستعداد للطوارئ والكوارث في المكتبات الوطنية: دراسة تحليلية** .مجلة البحوث المكتبية، 9(1)، 23-38
3. عبد الله، ريم .(2020) .**دور المؤسسات الثقافية في دعم المكتبات المتضررة بعد الكوارث الطبيعية** .مجلة الدراسات الثقافية، 12(3)، 55-70.
4. منصور، سامي .(2022) .**استراتيجيات الدعم والمساندة للمكتبات بعد الأزمات والكوارث** .مجلة إدارة المعلومات والمكتبات، 18(1)، 40-58.
5. Abidin, I. H. Z., Yusof, Z. M., & Mokhtar, U. A. (2023). Disaster preparedness through open science: The role of academic libraries in Malaysia. *International Journal of Disaster Risk Reduction, 92*, 103740. https://doi.org/10.1016/j.ijdrr.2023.103740
6. Adinku, O. (2005). Disaster management in academic libraries: A case study of the Balme Library, University of Ghana. *African Journal of Library, Archives and Information Science, 15*(1), 15–23.
7. Alexander, D. (2016). *Principles of emergency planning and management* (2nd ed.). Oxford University Press.
8. Al-Tikriti, N. (2007). "Stuff happens": A brief overview of the 2003 destruction of Iraqi manuscripts. *Library Trends, 55*(3), 730–745. https://doi.org/10.1353/lib.2007.0019
9. Ahenkorah-Marfo, M., & Borteye, E. M. (2010). Disaster preparedness and awareness of staff in academic libraries in Ghana: A case study of the Kwame Nkrumah University of Science and Technology Library. *Journal of Library and Information Science, 2*(1), 1–15.

10. Ayoung, A. D., Oppong, G. D., & Larbi, R. A. (2015). Disaster preparedness in academic libraries: A case study of Ghanaian Polytechnic libraries. *International Journal of Academic Library and Information Science, 3*(2), 35–43.
11. Assmann, A. (2011). *Cultural Memory and Western Civilization: Functions, Media, Archives*. Cambridge University Press.
12. Bladek, M. (2021). Libraries supporting mental health: A holistic approach. *Public Services Quarterly, 17*(3), 201–209. https://doi.org/10.1080/15228959.2021.1930506
13. Bou Akar, H. (2021). Urban vulnerability and cultural loss in Beirut post-blast. *Journal of Urban Cultural Studies, 8*(2), 145-160.
14. Bou Habib, M. (2020). Le patrimoine écrit au Liban : état des lieux et perspectives de sauvegarde. *Revue des bibliothèques du Levant, 12*(1), 55–72.
15. Centers for Medicare & Medicaid Services. (2023). Emergency preparedness rule. https://www.cms.gov/medicare/provider-enrollment-and-certification/surveycertemergprep/emergency-prep-rule
16. Chawinga, W. D., & Majawa, C. C. (2018). Dealing with disasters in academic libraries: Experiences and challenges from Mzuzu University Library. *Library Philosophy and Practice*, 1852. https://digitalcommons.unl.edu/libphilprac/1852
17. Diamond, E. (2006). After the flood: Lessons learned from Katrina and Rita. *Library Journal, 131*(2), 8–9.
18. Dunn, M. C., Fullerton, L. M., & Green, J. B. (2002). *Emergency management: Principles and practice for local government* (2nd ed.). International City/County Management Association.

19. Gallo, J. (2020). Crisis management in libraries: Lessons from the Beirut explosion. *Library Management, 41*(6), 351-364. https://doi.org/10.1108/LM-08-2020-0321
20. Goethe-Institut Liban. (2020). Emergency fund to support cultural institutions affected by the Beirut explosion. Goethe-Institut. https://www.goethe.de/ins/lb/en/kul/sup/22030611.html
21. Hamilton, R., & Brown, D. (2016). Disaster management and continuity planning in libraries: Changes since the year 2000. In *Handbook of Research on Disaster Management and Contingency Planning in Modern Libraries* (pp. 1–24). IGI Global. https://doi.org/10.4018/978-1-4666-8624-3.ch001
22. Ishola, R. O. (2017). Preservation and disaster management practices in university libraries in Nigeria. *International Journal of Academic Library and Information Science, 5*(2), 33–39. https://academicjournals.org/journal/IJALIS/article-full-text-pdf/5A3E3A66317
23. IFLA. (2019). The role of libraries in the preservation of cultural heritage. https://www.ifla.org
24. IFLA. (2021). Building strong libraries in times of crisis. https://www.ifla.org
25. IFLA. (2021). Libraries and cultural heritage under threat: Reflections after the Beirut blast. https://www.ifla.org
26. Ilo, P. I., Ugwu, C. I., & Eze, J. U. (2020). Disaster preparedness in university libraries: Evidence from Nigeria. *Library Management, 41*(6/7), 447–460. https://doi.org/10.1108/LM-06-2019-0033

27. Jivesh, H. (2015). Disaster management planning in libraries. *Annals of Library and Information Studies, 62*(2), 75–81. https://doi.org/10.7454/ajce.v8i1.1311
28. Knapp, M., Leiter, A. B., & Greer, K. (2023). Digital mental health services in public libraries: Opportunities and challenges. *Health Information & Libraries Journal, 40*(1), 72–82. https://doi.org/10.1111/hir.12422
29. Kobayashi, Y. (2013). Library response to the Great East Japan Earthquake of 2011. *IFLA Journal, 39*(1), 36–50. https://doi.org/10.1177/0340035212473082
30. Kostagiolas, P. A., Papadatos, J., & Metaxiotis, K. (2011). Disaster management approaches for academic libraries: An issue not to be neglected in Greece. *Library Management, 32*(1/2), 63–78. https://doi.org/10.1108/01435121111187888
31. Kushawaha, A., & Singh, R. (2021). Disaster preparedness strategies of central university libraries of India: Before, during and after disaster management. *Library Philosophy and Practice*, Article 5349. https://digitalcommons.unl.edu/libphilprac/5349
32. Lee, K., & Waugh, W. L. (2022). Disaster management for libraries: A global perspective. *Information and Library Science Review, 45*(1), 22-37. https://doi.org/10.1108/ILS-02-2022-0105
33. Leung, H., & Lin, M. (2021). Community engagement in library disaster recovery: A case study from Beirut. *Journal of Library Disaster Planning & Response, 15*(3), 125-138. https://doi.org/10.1108/JLDPR-02-2021-0036
34. Mardis, M. A., Hoffman, E. S., & Marshall, T. (2021). Libraries as social infrastructure: Supporting communities in times of crisis. *Journal of*

Librarianship and Information Science, 53(2), 251–260. https://doi.org/10.1177/0961000620918191

35. Matthews, G. (2017). *Disaster management in archives, libraries and museums*. Routledge.
36. McHone-Chase, S. (2007). Interlibrary loan networks and disaster planning. *Journal of Interlibrary Loan, Document Delivery & Electronic Reserve, 17*(3), 15–20. https://doi.org/10.1300/J474v17n03_04
37. Newman, D., & Harris, S. (2015). Lessons in disaster recovery from Hurricane Ivan: The case of the University of the West Indies (UWI) Mona Library. *IFLA Library, 81*(3), 45–52. http://library.ifla.org/1253/1/223-newman-en.pdf
38. Nisa, N., & Marlini, M. (2024). Disaster response at Pesisir Selatan archives and library: A case study. *Jurnal Ilmu Informasi Perpustakaan dan Kearsipan, 23*(1), 17–27. https://doi.org/10.24002/jipk.v23i1.12345
39. Osawele, M. O., & Akporhonor, B. A. (2022). Creating a culture of disaster preparedness among library staff in Nigeria. *Library Philosophy and Practice*, 6812. https://digitalcommons.unl.edu/libphilprac/6812
40. Randolph, J. (2015). *Environmental land use planning and management* (2nd ed.). Island Press.
41. Rich, R. C. (2008). Policy formulation and organizational behavior in public organizations. In J. Rabin, W. Bartley Hildreth & G. J. Miller (Eds.), *Handbook of Public Administration* (3rd ed., pp. 405–423). CRC Press.
42. Superio, D. L., Alayon, S. B., & Oliveros, M. C. (2022). Disaster preparedness in Philippine university libraries: An assessment. *Philippine Journal of Library and Information Science, 17*(2), 89–102.

43. The Asia Foundation. (2020). Beirut blast: Impact on cultural heritage institutions. https://asiafoundation.org/publication/beirut-blast-impact-cultural-heritage/
44. United Nations Office for Disaster Risk Reduction (UNDRR). (2015). *Sendai framework for disaster risk reduction 2015–2030*. https://www.undrr.org/publication/sendai-framework-disaster-risk-reduction-2015-2030
45. University of California. (2020). Disaster preparedness in academic libraries. https://www.lib.uc.edu/disaster-preparedness
46. Vuković, S., & Berberović, S. (2023). Disaster risk management in libraries: A review. *Journal of Library and Information Science, 12*(1), 55–66. https://doi.org/10.1016/j.jlis.2023.02.003
47. Walters, T. (2018). Disaster management: A review of best practices in libraries. *Library Management, 39*(4/5), 244–256. https://doi.org/10.1108/LM-01-2018-0005
48. Wibowo, S., & Nugroho, R. (2019). Disaster preparedness in Indonesian academic libraries. *Journal of Information Science, 45*(2), 183–195. https://doi.org/10.1177/0165551518806814

The August 4th Explosion and Its Aftermath: Libraries in Beirut: Between Support Received and Lessons Learned

Dr. Rodica Ajeil

Beirut Arab University

rodicaojeil@hotmail.com

Abstract

The explosion that occurred on August 4, 2020, in Beirut had a significant impact on the city's cultural and documentary fabric. Among the affected institutions, libraries suffered significant material losses that jeopardized their mission of preserving and providing access to knowledge. The event revealed profound flaws in the mechanisms for protecting documentary heritage in the face of disasters.

This article offers a comparative study of two iconic libraries in Beirut: the Bibliothèque Orientale (a private heritage institution with a university dimension) and the Assabil Association (a network of neighborhood public libraries). Through an analysis of their losses, emergency responses, and support mechanisms, the study highlights the resilience dynamics implemented in two different institutional contexts.

The data collected shows that while both libraries experienced similar damage, breakages, broken display cases, damaged furniture, and books that had fallen or been damaged, their response methods varied depending on available resources, activated solidarity networks, and institutional recognition. Cooperation with local NGOs and international organizations was often crucial for resuming operations.

Beyond crisis management, this research highlights the importance of integrating risk prevention into document management policies. Strengthening infrastructure, staff training, digitizing collections, and networking libraries appear to be strategic priorities. Lessons learned from these experiences could thus contribute to better preparedness for possible future disasters.

Key words: Libraries, Risk and Disaster Management, August 4, 2020 Explosion